الرُّكُوع

عناصر الموضوع

مفهوم الركوع	٢٩٤
الرّكوع في الاستعمال القرآني	٢٩٥
الألفاظ ذات الصلة	٢٩٦
الحث على الركوع	٢٩٨
بين الركوع والسجود	٣٠٧
ثمرات الالتزام بالركوع	٣١٣

Made searchable using ScribeTools.com

مفهوم الركوع

أولًا: المعنى اللغوي:

أصل مادة (ر ك ع) تدل على الانحناء[1]، والركوع في اللغة له معانٍ متعددة، منها:

الركوع: الانحناء، ومنه ركوع الصلاة. يقال: ركع الشيخ، أي: انحنى من الكبر[2].

وتارة يستعمل في الهيئة المخصوصة في الصلاة كما هي، وتارة في التّواضع والتّذلّل، إمّا في العبادة، وإمّا في غيرها[3].

ثانيًا: المعنى الاصطلاحي:

وعليه يمكن القول بأن الركوع في الاصطلاح: هو الانحناء لذي قدر ومكانة في نفس فاعله؛ تعظيمًا وإجلالًا؛ للدلالة على الخضوع والاستسلام والطاعة تعبدًا[4].

(١) مقاييس اللغة، ابن فارس ٢/ ٤٣٤.
(٢) الصحاح، الجوهري ٣/ ١٢٢٢.
(٣) المفردات، الراغب الأصفهاني ص ٣٦٤.
(٤) التوقيف على مهمات التعاريف ص١٨١.

الرّكوع في الاستعمال القرآني

وردت مادة (ركع) في القرآن بصيغ متعددة، بلغت(١٣) مرة[1].

والصيغ التي وردت هي:

الصيغة	عدد المرات	المثال
الفعل المضارع	١	﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ ۝٤٨﴾ [المرسلات: ٤٨]
فعل الأمر	٤	﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ۝٤٣﴾ [البقرة: ٤٣]
اسم الفاعل	٥	﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ۝٢٤﴾ [ص: ٢٤]
الجمع	٣	﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ۝٢٦﴾ [الحج: ٢٦]

وجاء الركوع في الاستعمال القرآني على ثلاثة أوجه[2]:

الأول: الصلاة: ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣] أي: صلّوا مع المصلّين.

الثاني: السجود: ومنه قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ [ص: ٢٤] يعني: ساجدًا.

الثالث: الركوع بعينه: ومنه قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾ [المائدة: ٥٥].

(١) انظر: المعجم المفهرس الشامل لألفاظ القرآن الكريم، عبد الله جلغوم ص٥٩٣.

(٢) انظر: الوجوه والنظائر، الدامغاني، ص٢٤٢.

Made searchable using ScribeTools.com

الألفاظ ذات الصلة

١ السجود:

السجود لغة:

سجد في اللغة: خضع، وأصله التطامن والتذلل، وسجد: طأطأ رأسه وانحنى[(١)].

السجود اصطلاحًا:

هو إلصاق الرأس والأطراف بالأرض على هيئة مخصوصة في الصلاة وغيرها، يقول فيها العبد ألفاظًا مخصوصة؛ تعظيمًا وإجلالًا للمعبود، وخضوعًا وانكسارًا من العبد على سبيل التعبد.

الصلة بين الركوع والسجود:

إن كلًا من الركوع والسجود يدل على الانحناء[(٢)]، غير أن السجود يكون بانحناءٍ أشد، ويجوز أن يفعل خارج الصلاة تعبدًا لله.

٢ القنوت:

القنوت لغة:

يأتي بمعنى الطاعة، وطول القيام، والصلاة، والسكوت[(٣)].

القنوت اصطلاحًا:

هو طول القيام في الصلاة طاعة لله، على هيئة مخصوصة، في وقت مخصوص، تعظيمًا لله وإجلالًا.

وقيل: الدعاء في الصلاة في محل مخصوص من القيام[(٤)].

الصلة بين الركوع والقنوت:

كلاهما من أفعال الصلاة، لكن تختلف فيهما الهيئة والأقوال، فالقنوت يكون بقراءة القرآن والدعاء، والحمد والثناء، بينما الركوع لا يجوز فيه قراءة القرآن.

---

(١) انظر: القاموس المحيط، الفيروزآبادي ص٣٦٦.
(٢) انظر: جامع البيان، الطبري ١/ ٧١٤.
(٣) انظر: الزاهر في معاني كلمات الناس، الأنباري ١/ ٦٨، القاموس المحيط، الفيروزآبادي ص١٤٧.
(٤) انظر: فتح الباري، ابن حجر ٢/ ٤٩٠.

٣ الخشوع:

الخشوع لغة:

تدل مادة (خ ش ع) على التطامن. يقال: خشع، إذا تطامن وطأطأ رأسه، يخشع خشوعًا. وهو قريب المعنى من الخضوع، إلا أن الخضوع في البدن والإقرار بالاستخذاء، والخشوع في الصوت والبصر[١].

الخشوع اصطلاحًا:

إقبال المرء بقلبه على الله في دعائه وصلاته؛ خوفًا وانقيادًا، مع خضوع الجوارح والأعضاء[٢].

الصلة بين الركوع والخشوع:

الركوع عمل يقوم به المرء ظاهرًا على هيئة مخصوصة، بانحناء القامة والأعضاء، بينما الخشوع يكون محله القلب، ويظهر أثره بهيئة مغايرة على أعضاء الإنسان بسكونها، وعلى الصوت فيخفت، وعلى البصر فيخضع.

(١) مقاييس اللغة، ابن فارس ٢/ ١٨٢.
(٢) المفردات، الراغب الأصفهاني ص٢٨٣، الفروق اللغوية، العسكري ص٢٤٨، التعريفات، الجرجاني ص٩٨.

Made searchable using ScribeTools.com

الحث على الركوع

لقد وردت لفظة «الركوع» ومشتقاتها في الأسلوب القرآني بأوامر ربانية في ثلاثة أساليب صريحة، تحث على الركوع، وورد أسلوب واحد بلفظ السجود مؤولًا بالركوع، وسنرى ذلك في النقاط الآتية:

أولًا: الأسلوب الصريح:

وقد استخدم في ذلك عدة أساليب:

١. أسلوب فعل الأمر.

نحو قوله: ﴿وَارْكَعُوا﴾، ﴿وَارْكَعِي﴾.

وقد جاء ذلك في أربع آيات، منها:

قول الله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّٰكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣].

قال الإمام الطبري رحمه الله: «﴿وَارْكَعُوا مَعَ الرَّٰكِعِينَ﴾، هذا أمر من الله تعالى لمن ذكر من أحبار بني إسرائيل ومنافقيها -أي: منافقي المدينة- بالإنابة والتوبة إليه، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، والدخول مع المسلمين في الإسلام، والخضوع له بالطاعة، ونهيٌ منه سبحانه وتعالى لهم عن كتمان ما قد علموا من نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، بعد تظاهر حججه عليهم»(١).

قال ابن عطية رحمه الله: «﴿وَارْكَعُوا مَعَ الرَّٰكِعِينَ﴾، قال قوم: جعل الركوع -لما كان من أركان الصلاة- عبارة عن الصلاة كلّها، وقال قوم: إنما خص الركوع بالذكر لأن بني إسرائيل لم يكن في صلاتهم ركوع»(٢).

وقال أيضًا: «﴿وَارْكَعُوا مَعَ الرَّٰكِعِينَ﴾، أي: صلّوا مع المصلين، محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وذكر بلفظ الركوع؛ لأن الركوع ركن من أركان الصلاة، ولأن صلاة اليهود لم يكن فيها ركوع، وكأنه قال: صلوا صلاةً ذات ركوع، قيل: وإعادته بعد قوله: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ﴾ لهذا، أي: صلّوا مع الذين في صلواتهم ركوع، فالأول: مطلق في حق الكل، وهذا في حق أقوام مخصوصين»(٣).

وقال الواحدي رحمه الله: «قال المفسرون: قوله تعالى: ﴿وَارْكَعُوا مَعَ الرَّٰكِعِينَ﴾، معناه: وصلوا مع المصلين محمد وأصحابه، فعبّر بالركوع عن جميع الصلاة؛ إذ كان ركنًا من أركانها كما عبّر باليد عن عمل الجسد في قوله: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾ [الحج: ١٠].

وقيل: إنما عبّر بالركوع عن الصلاة؛ لأنه أول ما يشاهد، مما يدل على أن الإنسان يؤدي الصلاة، وإنما قال: ﴿وَارْكَعُوا﴾ بعد قوله: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ﴾، وكان الركوع داخلًا في الصلاة؛ لأنه أراد الحث على إقامة

(١) انظر: جامع البيان، الطبري ١/ ٦١١.

(٢) المحرر الوجيز، ابن عطية ١/ ١٩٩.

(٣) المصدر السابق، وانظر: أحكام القرآن، القرطبي ١/ ٣٤٥.

الصلاة جماعة.

وقيل: لأنه لم يكن في دين اليهود ولا في صلاتهم ركوع، فذكر ما اختص بشريعة الإسلام، والآية خطاب لليهود»[1].

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله: «وقوله: ﴿وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾، أي: صلوا مع المصلين، ففيه الأمر بالجماعة للصلاة ووجوبها، وفيه أن الركوع ركن من أركان الصلاة؛ لأنه عبّر عن الصلاة بالركوع، والتعبير عن العبادة بجزئها يدل على فرضيته لها».

وقال أيضًا: «﴿وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾، فإنكم إذا فعلتم ذلك مع الإيمان برسل الله وآياته، فقد جمعتم بين الأعمال الظاهرة والباطنة، وبين الإخلاص للمعبود والإحسان إلى عبيده، وبين العبادات القلبية والبدنية والمالية»[2].

وقال الله عزّ ثناؤه: ﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [آل عمران: ٤٣].

أمر صريح من الله لمريم عليها الصلاة والسلام بالخضوع له بالطاعة، وهذا ما أشار إليه الإمام الطبري رحمه الله بقوله: «فتأويل الآية إذن: يا مريم أخلصي عبادة ربك لوجهه خالصًا، واخشعي لطاعته وعبادته، مع من خشع له من خلقه، شكرًا له على ما أكرمك به من الاصطفاء والتطهير من الأدناس، والتفضيل على نساء عالم دهرك، وقد بيّنا معنى الركوع والسجود بالأدلة المؤكدة على صحته، وأنهما عين الخشوع لله، والخضوع له بالطاعة والعبودية»[3].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾ [الحج: ٧٧].

قال الإمام الطبري رحمه الله: «في تفسير قول الله تعالى ذكره: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا﴾: يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله اركعوا لله في صلاتكم، ﴿وَاسْجُدُوا﴾ له فيها ﴿وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾، يقول: وذلّوا لربكم، واخضعوا له بالطاعة لتفلحوا بذلك»[4].

وقال الله جل شأنه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ﴾[المرسلات: ٤٨].

وعن مجاهد بن جبر رحمه الله: في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ﴾، قال: «إذا قيل لهم صلّوا لا يصلّون»[5].

قال الإمام الطبري رحمه الله: «يقول تعالى ذكره: وإذا قيل لهؤلاء المجرمين المكذبين بوعيد الله أهل التكذيب به:

(١) التفسير البسيط، الواحدي ٢/ ٤٤٦.
(٢) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص١٥.
(٣) جامع البيان، الطبري ٥/ ٤٠٠.
(٤) المصدر السابق ١٦/ ٦٣٨-٦٣٩.
(٥) تفسير مجاهد بن جبر ص٦٩٣.

Made searchable using ScribeTools.com

اركعوا، لا يركعون».

واختلف أهل التأويل في الحين الذي يقال لهم فيه:

فقال بعضهم: «يقال لهم ذلك في الآخرة حين يدعون إلى السجود فلا يستطيعون، وعن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرۡكَعُواْ لَا يَرۡكَعُونَ﴾ [المرسلات: ٤٨] يقول: يدعون يوم القيامة إلى السجود فلا يستطيعون السجود، من أجل أنهم لم يكونوا يسجدون لله في الدنيا».

وقال آخرون: «بل قيل ذلك لهم في الدنيا».

وعن قتادة في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرۡكَعُواْ لَا يَرۡكَعُونَ﴾ «أي: عليكم بحسن الركوع، فإن الصلاة من الله بمكان؛ لأن المقصود بالآية عنده هو الركوع نفسه».

وقال قتادة في آخرين: «هذه حال كفار قريش في الدنيا، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوهم وهم لا يجيبون، وذكر الركوع عبارة عن جميع الصلاة، وهذا قول الجمهور».

وقال قتادة عن ابن مسعود رضي الله عنه: «أنه رأى رجلًا يصلي ولا يركع، وآخر يجر إزاره، فضحك، فقيل له: ما يضحكك؟ قال: أضحكني رجلان؛ أما أحدهما فلا يقبل الله صلاته، وأما الآخر فلا ينظر الله إليه»[(١)].

قال الإمام القرطبي رحمه الله: «قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرۡكَعُواْ لَا يَرۡكَعُونَ﴾ أي: إذا قيل لهؤلاء المشركين: ﴿ٱرۡكَعُواْ﴾، أي: صلّوا: ﴿لَا يَرۡكَعُونَ﴾، أي: لا يصلّون».

قال مقاتل: «نزلت في ثقيف، امتنعوا من الصلاة فنزل ذلك فيهم، قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: (أسلموا)، وأمرهم بالصلاة فقالوا: لا ننحني فإنها مسبةٌ علينا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (لا خير في دين ليس فيه ركوع ولا سجود)[(٢)].

قال ابن العربي رحمه الله: «هذه الآية حجة على وجوب الركوع وإنزاله ركنًا في الصلاة، وقد انعقد الإجماع عليه، وظنّ قوم أن هذا إنما يكون في القيامة، وليست بدار تكليف فيتوجه فيها أمر يكون عليه ويلٌ وعقابٌ، وإنما يدعون إلى السجود كشفًا لحال الناس في الدنيا، فمن كان يسجد يمكّن من السجود، ومن كان يسجد رئاءً لغيره صار ظهره طبقًا واحدًا».

وقيل: أي: إذا قيل لهم اخضعوا للحق

(١) انظر: جامع البيان، الطبري ٢٣/ ٦١٢-٦١٤، الدر المنثور، السيوطي ٦/ ٣٠٥.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، رقم ١٧٩١٣، ٢٩/ ٤٣٨، وأبو داود في سننه، كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب ما جاء في خبر الطائف، رقم ٣٠٢٦.
وضعفه الألباني في ضعيف الجامع، رقم ٤٧١١.

لا يخضعون، فهو عام في الصلاة وغيرها، وإنما ذكر الصلاة، لأنها أصل الشرائع بعد التوحيد. وقيل: الأمر بالإيمان؛ لأنها لا تصح من غير إيمان[1].

قال الواحدي رحمه الله: «إذا أمروا بالصلوات الخمس لا يصلّون مع محمد صلى الله عليه وسلم»[2].

قال ابن كثير رحمه الله: «﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ﴾ [المرسلات: ٤٨]، أي: إذا أمر هؤلاء الجهلة من الكفار أن يكونوا من المصلين مع الجماعة، امتنعوا من ذلك واستكبروا عنه»[3].

قال البغوي رحمه الله: «﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا﴾، يعني: صلّوا، ﴿لَا يَرْكَعُونَ﴾: لا يصلّون»[4].

قال ابن عطية رحمه الله في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ﴾ «هي حكاية حال المنافقين في الآخرة إذا سجد الناس، فأرادوا السجود فانصرفت أصلابهم إلى الأرض، وصارت فقراتهم كصياصي البقر، قاله ابن عباس رضي الله عنهما وغيره».

وقال بعض المتأولين: «عني بالركوع التواضع» كما قال الشاعر[5]:

بجمعٍ تضلّ البلق في حجراته
ترى الأكم فيه سجّدًا للحوافر

ويتابع ابن عطية قائلًا: «إنّ ذكر الركوع هنا وتخصيصه من بين سائر أحوال العبادة، إنما كان لأن كثيرًا من العرب كان يأنف من الركوع والسجود، ويراها هيئةً منكرةً؛ لما كان في أخلاقهم من العجرفة»[6].

٢. أسلوب الوصف الدال على المدح.

وقد جاء في ثمانية مواضع، منها:

قال الله عز وجل: ﴿فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ [ص: ٢٤].

وقال الله تعالى: ﴿ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ﴾ [التوبة: ١١٢].

وقال عز وجل: ﴿وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾ [المائدة: ٥٥].

وقال تعالى: ﴿وَٱرْكَعُوا مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣].

وقال سبحانه: ﴿وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [آل عمران: ٤٣].

وقال تعالى: ﴿وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [البقرة: ١٢٥].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ١٩/ ٦٢٧.
(٢) التفسير البسيط، الواحدي ٢٣/ ١٠٥.
(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٤/ ٥٣٨.
(٤) معالم التنزيل، البغوي ٢/ ٩٩٣.
(٥) الشاعر هو: زيد الخيل، إذ يستشهد بالبيت على أن السجود يأتي بمعنى الخضوع والتواضع، موافقًا للغة، وانظر: كتاب الصّاحبيّ، لابن فارس ٢٦١، حيث ورد بلفظ: بجمع تضلّ...، وأورد رواية ثانية: بجيش تضلّ...
(٦) المحرر الوجيز، ابن عطية ٨/ ٥١٠.

Made searchable using ScribeTools.com

وقال تبارك وتعالى: ﴿وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [الحج: ٢٦].

وقال وتعالى: ﴿تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ [الفتح: ٢٩].

٣. أسلوب الوصف الدال على الذمّ.

وقد ورد في موضع واحد.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ﴾ [المرسلات: ٤٨]..

٤. الأمر بالركوع بلفظ السجود.

وقد ورد بلفظة ﴿سُجَّدًا﴾، في ثلاثة مواضع هي:

قال الله تعالى: ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾ [البقرة: ٥٨].

وقال تعالى: ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾ [النساء: ١٥٤].

وقال تعالى: ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾ [الأعراف: ٦١].

قال الإمام الطبري رحمه الله: «القول في: ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾، فإن ابن عباس كان يتأوّل قوله تعالى: ﴿سُجَّدًا﴾ بمعنى: الرّكّع»[(١)].

وروي عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾ «ركعًا من باب صغير»[(٢)].

وعن ابن عباس من طريق آخر في قوله تعالى: ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾، قال: «أمروا أن يدخلوا ركعًا».

قال أبو جعفر: «وأصل السجود الانحناء لمن سجد له معظّمًا بذلك، فكل منحنٍ لشيء تعظيمًا له وخشوعًا فهو له ساجد»[(٣)].

وقال الإمام الواحدي رحمه الله: «وقوله: ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: ركعًا، وهو شدة الانحناء، والمعنى: منحنين متواضعين»[(٤)].

وجاء بلفظ ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾، بموضع واحد.

قال تعالى: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٩].

قال الإمام الطبري رحمه الله: «معنى ذلك: ويرى تقلّبك في صلاتك حين تقوم، ثم حين تركع، وتسجد، وقال ابن عباس في تفسير قوله تعالى: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾ «قيامك وركوعك وسجودك»[(٥)].

ونقل مثل هذا التفسير عن عكرمة أيضًا، وقد رجّح الإمام الطبري هذا القول بعد ذكره للأقوال الواردة في تفسير هذه الآية.

ويمكن أن نضيف أسلوبًا غير صريح يحث على الركوع: وهو الأمر بإقامة

---

(١) جامع البيان ١/ ٧١٤-٧١٥.
(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك، ٢/ ٢٦٢، وقال: صحيح على شرط الشيخين.
(٣) جامع البيان، الطبري ١/ ٧١٤-٧١٥.
(٤) البسيط ٢/ ٥٥٨.
(٥) جامع البيان، الطبري ١٧/ ٦٦٦-٦٧٠.

الصلاة، فإن ذلك يتضمن الأمر بالركوع؛ حيث إن الركوع جزء من الصلاة، وما أكثر الآيات الواردة في ذلك، ولا حاجة للإطالة في ذكرها.

ثانيًا: الثناء على الراكعين:

يعتبر الركوع من أهم الصفات التي يتميز بها العبد المسلم بخضوعه لربه جل جلاله، منحنيًا بهامته لخالقه ورازقه بكل عبودية وتعظيم وإخلاص لله تعالى.

ولقد أثنى الله عز وجل على الراكعين في أكثر من آية وردت بآيات الذكر الحكيم، وبعدة أساليب، أهمها:

١. المدح المباشر للراكعين.

وقد ظهر ذلك بمدحه لمحمد صلى الله عليه وسلم وأتباعه؛ بأنهم يركعون لله سبحانه، ولهذا أمر اليهود بأن يخضعوا لله سبحانه، وأن يتبعوا رسوله محمدًا عليه الصلاة والسلام ويكونوا مع أتباعه، خاضعين لله ورسوله: ﴿وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣][(١)].

وبأمر الله لمريم عليها السلام بأن تكون راكعة مع الراكعين لله تعالى ، مخلصة له بالعبادة اصطفاؤها وتفضيلها على العالمين: ﴿وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [آل عمران: ٤٣][(٢)].

ويجعل الركوع صفة من الصفات الممدوحة للمؤمنين المتبعين لشرع الله ورسوله، وجعل سبحانه وتعالى المكافأة على ذلك بأن الراكع وليه الله ورسوله، بل أوجب موالاتهم وحبهم بأداة الحصر (إنما): ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾ [المائدة: ٥٥][(٣)].

ويمدح عباد الله المؤدين للصلوات المفروضة، والمكثرين من النوافل بعدة صفات، كان الركوع الصفة الخامسة، بقوله: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١١٢][(٤)].

مدح الله عز وجل للمكثرين من الركوع والسجود المتجهين إلى الكعبة المشرفة في صلاتهم وركوعهم، سواء أكانوا حولها أم بعيدين عنها.

بل أمر سبحانه خليله إبراهيم وولده إسماعيل عليهما الصلاة والسلام بتطهير وتهيئة بيته المحرم لهؤلاء: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا

(١) المصدر السابق ١/ ٦٦٦.
(٢) المصدر السابق ٥/ ٤٠٠.
(٣) المصدر السابق ١/ ١٠٤.
(٤) البسيط، الواحدي ١١/ ٧١.

Made searchable using ScribeTools.com

﴿بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [البقرة: ١٢٥][(١)].

مدح أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم بأنهم من المكثرين في الصلاة، والركوع والسجود من أجل أركان الصلاة: ﴿تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ [الفتح: ٢٩][(٢)].

دلالة على محبة الله تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم حال رؤيته له متقلبًا في صلاته وركوعه وسجوده بقوله: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٩].

٢. الركوع سبب من أسباب قبول التوبة والفلاح.

فقد جعل الله سبحانه الركوع سببًا للتوبة عن بني إسرائيل، وشكرًا لله عز وجل على أن سهّل لهم فتح بيت المقدس، فقال: ﴿وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ﴾ [البقرة: ٥٨][(٣)].

وقال: ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ﴾ [النساء: ١٥٤][(٤)].

وقال: ﴿وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْ﴾ [الأعراف: ١٦١][(٥)].

وكلها أتت كما قال ابن عباس ومن وافقه بمعنى «ركعًا منحنين خاضعين لله سائلينه أن يحطّ عنهم سيئاتهم، ولكن بني إسرائيل خالفوا أمر الله جلّ ثناؤه، فلم يدخلوا راكعين، إنما دخلوا متزحفين على أستاههم -وفي رواية على أوراكهم-، مخالفين لأمر الله فاستحقوا الرجز من رب السماء»[(٦)].

ونرى ذلك واضحًا في قبول التوبة والفلاح بقصة داوود عليه الصلاة والسلام الواردة في قوله تعالى: ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ (٢٤) فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ [ص: ٢٤و٢٥].

أي: ألقى بنفسه نحو الأرض متطامنًا متواضعًا لله عز وجل، سائلًا ربه بأن يغفر له ذنبه، تائبًا مما وقع فيه من الخطأ. قال الحسن بن الفضيل: «سألني عبد الله بن طاهر عن قوله تعالى: ﴿وَخَرَّ رَاكِعًا﴾، هل يقال للراكع خرّ؟ قلت: لا، ومعناه، أي: ساجدًا بعد ما كان راكعًا»[(٧)].

(١) جامع البيان، الطبري ١٦/ ٥١٣.
(٢) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية ٧/ ٦٨٩، الوسيط، الواحدي ٢٠/ ٣٢٦، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٤/ ٢٣٥.
(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ١/ ١٣٤.
(٤) المصدر السابق ١/ ٧١٢.
(٥) المصدر السابق ٤/ ٢٣٥، ٧١٢.
(٦) التفسير البسيط، الواحدي ٢/ ٥٥٨.
(٧) معالم التنزيل، البغوي ٢/ ٨٠٠.

٣. ذم الذين لا يركعون لله تعالى.

فقد ذمّ الله الذين لا يركعون له في الدنيا، وهدّدهم بأن يفضحهم على رؤوس الخلائق يوم القيامة في أرض المحشر، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ﴾، ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المرسلات: ٤٨-٤٩].

وإذا استخدمنا مفهوم المخالفة لهذا النص اقتضى مدح من كان يركع لله في الدنيا فهو ناجٍ برحمة الله تعالى يوم القيامة من عذاب جهنم، مستحق للفوز برضوانه وجنته.

قال مقاتل رحمه الله في تفسير هذه الآية «قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: (أسلموا)، وأمرهم بالصلاة، فقالوا: لا ننحني؛ فإنها مسبةٌ علينا فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: (لا خير في دين ليس فيه ركوع ولا سجود)»[1].

ورجح الإمام ابن عطية: «بأن ذكر الركوع هنا وتخصيصه من بين سائر أحوال العبادة، إنما كان لأن كثيرًا من العرب كان يأنف من الركوع والسجود، ويراهما هيئة منكرة، لما كان في أخلاقهم من العجرفة!»[2].

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ١٩/ ٦٢٧.
(٢) المحرر الوجيز، ابن عطية ٨/ ٥١٠.

ثالثًا: بيان حسن الجزاء للراكعين في الآخرة:

يقوم المؤمن بطاعته لربه، وخضوعه لأوامره، واجتناب نواهيه، مخلصًا لله عز وجل في جميع أقواله وأعماله، مبتغيًا بذلك جزيل التوفيق في الحياة الدنيا، ورضى الله تعالى والفوز بجنته في الآخرة.

وقد رتب الله سبحانه على من اتصف بصفات الطاعة (بالركوع والسجود له) جزاء عظيمًا في الآخرة، نستخلصها من آية سورة الفتح، كما يأتي:

أولًا: وعد الله لهم بمغفرته ورضوانه، وإدخالهم النعيم المقيم في جنته.

قال الله تعالى: ﴿تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾، ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾ [الفتح: ٢٩].

قال الإمام القرطبي رحمه الله: «﴿تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ [الفتح: ٢٩]. تراهم ركعًا أحيانًا لله في صلاتهم، سجدًا أحيانًا ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾، يقول: يلتمسون بركوعهم وسجودهم وشدتهم على الكفار، ورحمة بعضهم بعضًا ﴿فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾، وذلك برحمته إياهم، بأن يتفضل عليهم فيدخلهم جنته، وأن يرضى عنهم ربهم، وقوله: ﴿مَّغْفِرَةً﴾، يعني: عفوًا عامًّا عما مضى من ذنوبهم وسيء أعمالهم بحسنها.

Made searchable using ScribeTools.com

وقوله: ﴿وَأَجۡرًا عَظِيمًا﴾ يعني: وثوابًا جزيلًا، وذلك الجنة»[1].

وزاد ابن كثير رحمه الله: «﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا﴾ [الفتح: ٢٩]. وعدهم الله مغفرة لذنوبهم، وثوابًا جزيلًا ورزقًا كريمًا. ووعد الله حق وصدق لا يخلف ولا يبدّل، وكل من اقتفى أثر الصحابة رضي الله عنهم فهو في حكمهم»[2].

ثانيًا: علامة يجعلها الله في وجوه المؤمنين يوم القيامة، يعرفون بها؛ لما كان من سجودهم له في الدنيا، ثم اختلف أهل التأويل في «السيما» الذي عناه الله في هذا الموضع:

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «صلاتهم تبدو في وجوههم يوم القيامة». وقال الحسن رضي الله عنه وعن خالد الحنفي وعطية: «مواضع السجود من وجوههم يوم القيامة تكون أشد بياضًا»، وهو كقوله سبحانه: ﴿تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ﴾ [المطففين: ٢٤].

وهناك أقوال أخرى وردت في بيان معنى هذه السيما، ذكرها ابن كثير ورجّحها جميعها، ولكنه قدّم هذه العلامة وأنها ستكون لهم في الآخرة، وذكر عدة أحاديث في ذلك منها، قال: «سمعت شبيبًا يقول: عن مقاتل بن حيان، قال: ﴿سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الفتح: ٢٩].

قال: النور يوم القيامة»[3].

ثالثًا: ونرى في المقابل أن الله عز وجل توعد من لم يركع ويخضع له في الدنيا بالعذاب الشديد يوم القيامة، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرۡكَعُواْ لَا يَرۡكَعُونَ ٤٨ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ﴾ [المرسلات: ٤٨-٤٩].

قال الإمام الطبري رحمه الله: «واختلف أهل التأويل في الحين الذي يقال لهم فيه، فقال بعضهم: يقال لهم ذلك في الآخرة حين يدعون إلى السجود فلا يستطيعون، عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرۡكَعُواْ لَا يَرۡكَعُونَ﴾ [المرسلات: ٤٨].

يقول: يدعون يوم القيامة إلى السجود فلا يستطيعون السجود، من أجل أنهم لم يكونوا يسجدون لله في الدنيا»[4].

وقال آخرون: «بل قيل ذلك لهم في الدنيا»[5].

---

(١) جامع البيان، الطبري ٢١/ ٣٢١ - ٣٣٤.
(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٤/ ٢٣٥.
(٣) المصدر السابق.
(٤) جامع البيان، الطبري ٢٣/ ٦١٢-٦١٤.
(٥) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ١٩/ ٦٢٧.

بين الركوع والسجود

إذا أمعنا النظر في لفظتي الركوع والسجود سواء من الناحية اللغوية، أو من الناحية الاصطلاحية، نجد بينهما توافقًا في جوانب، وتباينًا في جوانب أخرى، وسنفصل ذلك فيما يلي:

أولًا: جوانب التوافق:

من الناحية اللغوية:

يتفقان في أن كلًا منهما يدل على الخضوع والانحناء والذّل والخوف لشيءٍ قوي قاهر، سواء كان للمخلوقات، أو كان خضوعًا لله سبحانه وتعالى بالطاعة له، والانقياد لشرعه.

وعلى هذا يمكن تفسير عبادة غير الله تعالى: بأن الناس اعتقدوا فيما يعبدونه من دون الله تعالى القوة والبطش، فذلوا لآلهتهم وعبدوها وقدّموا لها القرابين، وكانوا يدخلون أماكنها وهم يركعون، أو يسجدون، أو راكعين ساجدين.

أما المسلم فلا يركع إلا لله عز وجل، فهو خالقه والمنعم عليه؛ طمعًا في مرضاته وفوزه بجنته، وخوفًا من غضبه وعذابه، فيكون الركوع والسجود في الصلاة شكرًا لله عز وجل، وطلبًا لعبادته، وتعظيمًا لقدره، وتقربًا إليه، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ﴾ [الحج: ٧٧].

وغير ذلك مما ورد في شأن الركوع أو السجود.

من الناحية الشرعية:

نجد أن الركوع أو السجود أو كليهما كانا عند جميع الأمم وفي شرائعهم المنزلة، كما أشار الله عز وجل إلى ذلك بقوله: ﴿يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [آل عمران: ٤٣].

وقوله تعالى: ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّۤ رَاكِعٗاۤ وَأَنَابَ﴾ [ص: ٢٤].

وقوله سبحانه آمرًا إبراهيم عليه الصلاة والسلام: ﴿وَطَهِّرۡ بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الحج: ٢٦].

وأمره سبحانه لإبراهيم وولده إسماعيل عليهما الصلاة والسلام في موضع آخر: ﴿أَن طَهِّرَا بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [البقرة: ١٢٥].

بل ذمّ الله سبحانه وتعالى من لم يركع له في الدنيا، وأن له العذاب الشديد يوم القيامة: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرۡكَعُواْ لَا يَرۡكَعُونَ ۝٤٨ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ﴾ [المرسلات: ٤٨-٤٩].

Made searchable using ScribeTools.com

ثانيًا: جوانب التباين:

من الناحية اللغوية:

الركوع هو: انحناء وخفض للرأس والظهر بدون أن يصل الراكع إلى الأرض، أمّا السجود فإنه لابدّ للساجد من وضع جبهته وأنفه على الأرض، وعليه فالسجود أكثر خضوعًا وتذللًا من الركوع؛ لذا ورد في الحديث: (**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا الدعاء**)(١).

من الناحية الشرعية:

فالركوع انحناء للظهر واستقامته مع الرأس ومسك اليدين للركبتين، ويكون فيه تعظيمٌ للربّ بقول الراكع: (سبحان ربي العظيم) ثلاثًا.

أما السجود فهو وضع الجبهة مع الأنف واليدين والركبتين وباطن أصابع القدمين على الأرض، ويكون فيه التسبيح لله تعالى العلي القهار بقول الساجد: (سبحان ربي الأعلى) ثلاثًا، ويكون فيه الدعاء بما يشاء العبد، ويكون فيه أقرب إلى الله تعالى ، وعلى هذا جاء نص الحديث التالي: (**فأما الركوع فعظّموا فيه الرب، وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء فقمنٌ أن يستجاب لكم**).

لذلك إذا استقرأنا الآيات التي ذكر فيها الركوع والسجود، نرى تقديم الركوع فيها على السجود دائمًا، ماعدا آية آل عمران رقم ٤٣، ففيها تقديم السجود على الركوع، وسنرى تعليل ذلك، ونجد أيضًا أن ترتيب الركوع في الصلاة يكون قبل السجود، ولا يتوصل إلى السجود إلا بالركوع، فالركوع بداية الخضوع، والسجود كمال الخضوع ونهايته، وكلاهما لا يكون إلا لله ربّ العالمين.

ثالثًا: الركوع بمعنى السجود:

بالرجوع إلى نصوص الآيات التي وردت بالركوع، نرى أن لفظة الركوع تصرف إلى حقيقتها الشرعية واللغوية مالم يكن هنالك صارف إلى معنى آخر، وأنه ركن من أركان الصلاة، فعبّر الله تعالى بالركوع عن الصلاة التي فيها الصلة به والخضوع له، لكننا نجد أن الركوع ورد بمعنى السجود في:

أولًا: قول الله تعالى حكاية عن نبيه داوود عليه الصلاة والسلام: ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّۤ رَاكِعٗا وَأَنَابَ۩﴾ [ص: ٢٤].

فقد فسّرها الإمام الطبري رحمه الله: «فخرّ ساجدًا لله، ورجع إلى رضى ربه، وتاب من خطيئته»(٢).

وقال الحسين بن الفضل: «المعنى

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، رقم ٤٨٢.

(٢) جامع البيان، الطبري ٢٠/ ٦٤.

(خرّ من ركوعه)، أي: سجد بعد أن كان راكعًا»[1].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما ، أن النبي صلى الله عليه وسلم سجد في (ص) وقال: (سجدها داوود عليه السلام توبةً، ونسجدها شكرًا)[2].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما في رواية سعيد بن جبير «﴿وَخَرَّ رَاكِعًا﴾، ساجدًا».

وقال الواحدي رحمه الله: «ويجوز أن يعبّر بالركوع عن السجود، لأن الركوع في اللفظ معناه الانحناء، ولا خلاف بين المفسرين أنه خرّ ساجدًا»[3].

قال الإمام البغوي رحمه الله: «﴿فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا﴾، أي: ساجدًا، عبّر بالركوع عن السجود، لأن كل واحد منهما فيه انحناء، قال الحسين بن الفضل: سألني عبد الله بن طاهر عن قوله: ﴿وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾، هل يقال للراكع خرّ؟ قلت: لا، ومعناه: فخرّ، أي: ساجدًا، بعد ما كان راكعًا»[4].

ثانيًا: وقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ﴾ [المرسلات: ٤٨].

يقول الإمام الطبري رحمه الله: «واختلف أهل التأويل في الحين الذي يقال لهم فيه، فقال بعضهم: يقال لهم ذلك في الآخرة حين يدعون إلى السجود فلا يستطيعون. روي عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ﴾، يقول: يدعون يوم القيامة إلى السجود فلا يستطيعون السجود. من أجل أنهم لم يكونوا يسجدون لله في الدنيا»[5].

قال ابن عطية رحمه الله: « قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ﴾، قيل: هي حكاية حال المنافقين في الآخرة إذا سجد الناس، فأرادوا السجود فانصرفت أصلابهم إلى الأرض وصارت فقراتهم كصياصي البقر، قاله ابن عباس رضي الله عنهما وغيره»[6].

رابعًا: السجود بمعنى الركوع:

ذكرنا سابقًا أنه ورد لفظ السجود بمعنى الركوع في ثلاثة مواضع:

قال الله تعالى: ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾ [البقرة: ٥٨].

وقال تعالى: ﴿ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾ [النساء: ١٥٤].

(١) المحرر الوجيز، ابن عطية ٧/ ٣٤١.
(٢) أخرجه النسائي في الكبرى، ٢/ ٥، رقم ١٠٣١.
وصححه الألباني في صحيح أبي داود، الأم ٥/ ١٥٤.
(٣) التفسير الوسيط، الواحدي ١٩/ ١٩٠.
(٤) معالم التنزيل، البغوي ٢/ ٨٠٠.
(٥) جامع البيان، الطبري ٢٣/ ٦١٢-٦١٤.
(٦) المحرر الوجيز، ابن عطية ٨/ ٥١٠.

Made searchable using ScribeTools.com

وقال تعالى: ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾ [الأعراف: ١٦١].

وكلها وردت في أمر الله تعالى لبني إسرائيل بأن يدخلوا من باب حطة إلى بيت المقدس راكعين، خاشعين، شاكرين لله على أنه فتح عليهم مدينة بيت المقدس.

قال الإمام القرطبي رحمه الله: «وأما قوله: ﴿سُجَّدًا﴾، فإن ابن عباس كان يتأوّله بمعنى الركوع».

وعن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى: ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾، قال: «ركّعًا من باب صغير»[(١)].

وعن ابن عباس من طريق آخر في تفسير قوله تعالى: ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾، قال: «أمروا أن يدخلوا ركّعًا».

قال أبو جعفر: «وأصل السجود الانحناء لمن سجد له معظّمًا بذلك، فكل منحنٍ لشيء تعظيمًا له وخشوعًا فهو له ساجد»[(٢)].

وقال الإمام الواحدي رحمه الله: «وقوله: ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: ركّعًا، وهو شدة الانحناء، والمعنى: منحنين متواضعين.

قال مجاهد رحمه الله: هو باب حطة من بيت المقدس، طوطئ لهم الباب ليخفضوا رؤوسهم، فلم يخفضوا ولم يركعوا، ودخلوا متزحفين على أستاههم»[(٣)].

وقال ابن كثير رحمه الله: «وحكي عن بعضهم أن المراد هنا بالسجود الخضوع؛ لتعذّر حمله على حقيقته»[(٤)].

وقال الإمام البغوي رحمه الله تعالى: «﴿سُجَّدًا﴾، أي: ركّعًا، خضّعًا، منحنين.

وقال وهب: فإذا دخلتموه فاسجدوا شكرًا لله»[(٥)].

وورد أيضًا في بعض التفاسير أن السجود أتى بمعنى الركوع في قوله تعالى: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٩].

قال الإمام الطبري رحمه الله: «ويرى تقلّبك مع الساجدين في صلاتهم معك، حين تقوم معهم وتركع وتسجد؛ لأن ذلك هو الظاهر من معناه»[(٦)].

وقال الإمام الشنقيطي رحمه الله: «﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾ أي: المصلين، إذا صليت بالناس»[(٧)].

خامسًا: الركوع والسجود منفردين ومجتمعين:

بالتتبّع لآيات الركوع والسجود نجد أن آيات الركوع الواردة في القرآن الكريم أقل من آيات السجود عمومًا، وأن آيات الركوع

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك، ٢/ ٢٦٢، وقال: صحيح على شرط الشيخين.
(٢) جامع البيان، الطبري ١/ ٧١٤-٧١٥.
(٣) التفسير البسيط، الواحدي ٢/ ٥٥٨.
(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ١/ ١٣٤.
(٥) معالم التنزيل، البغوي ١/ ٢٦.
(٦) جامع البيان، الطبري ١/ ٦٦٦ - ٦٦٩.
(٧) أضواء البيان ٦/ ٣٨٨.

جاءت منفردة بالركوع في آيات، ومجتمعة مع السجود في آيات أخر.

١. مجيء الركوع منفردًا.

أتت آيات الركوع منفردة لم يذكر معها السجود بثلاثة مواضع، هي:

- لجماعة المصلين كما في قوله تعالى: ﴿وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣].
- وقوله: ﴿وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [المائدة: ٥٥].
- ولمن طلب منهم الصلاة بقوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ﴾ [المرسلات: ٤٨].
- خاص لمريم عليها الصلاة والسلام في قول الله عز وجل: ﴿وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [آل عمران: ٤٣].
- خاص بداوود عليه الصلاة والسلام في قوله تعالى: ﴿وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ [ص: ٢٤].

٢. مجيء الركوع والسجود مجتمعين.

غالب الآيات التي ورد فيها الركوع، قرن بالسجود؛ كقوله تعالى: ﴿وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [البقرة: ١٢٥]، [الحج: ٢٦].

وقوله تعالى: ﴿الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ﴾ [التوبة: ١١٢].

وقوله: ﴿ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا﴾ [الحج: ٧٧].

وقوله: ﴿تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ [الفتح: ٢٩].

مما يدلّ على تلازم الركوع مع السجود؛ حيث جاءت مرتبة للركوع قبلًا ثم السجود، ولأن الإنسان لا يمكن أن يصل إلى السجود قبل المرور بالركوع، وهذا هو الترتيب في أداء الصلاة، الركوع أولًا ثم يعقبه الرفع منه ثم السجود، وكلاهما يدلان على محض الخضوع والخشوع لله تعالى.

وجاء الركوع والسجود في آية واحدة مجتمعين؛ ولكن بتقديم السجود على الركوع، في قوله تعالى: ﴿وَاسْجُدِي وَارْكَعِي﴾ [آل عمران: ٤٣].

فلم قدّم السجود هنا على الركوع؟

وللمفسرين في بيان سبب تقديم السجود على الركوع في هذه الآية أربعة أقوال، نبسطها لبيان الحكمة في ذلك:

القول الأول: الواو هنا للجمع لا للترتيب، وليس فيه دليل على المبدوء به.

فقدم السجود لفظًا، وهو مؤخر معنىً[(١)].

القول الثاني: أن السجود كان مقدمًا في شريعة زكريا عليه الصلاة والسلام وغيره من أنبيائهم.

قال المنتجب الهمذاني: «أي قيل لمريم: افعلي كليهما، وقد ثبت في الصدور واستقر في النفوس تقديم الركوع على السجود،

(١) انظر: التفسير البسيط، الواحدي ٥/ ٢٤٧-٢٥٠.

Made searchable using ScribeTools.com

والقوم -أي: العرب- إذا أمنوا اللبس تلعّبوا بألفاظهم، مع أن العطف عارٍ عن الترتيب»[١].

القول الثالث: أن الأمر ورد عامًا فيه حضٌّ على أفعال الخير، فكأنه قال: استعملي السجود في حال، واستعملي الركوع في حال، ولم يذهب إلى أنهما يجتمعان، ثم يقدّم السجود على الركوع، بل أراد العموم بالأمر على اختلاف الحالين.

قال ابن عطية رحمه الله: «وإنما المعنى: افعلي هذا وهذا، وقد علم تقديم الركوع -أي: في الصلاة- وهذه الآية أكثر إشكالًا من قولنا: قام زيد وعمرو؛ لأن قيام زيدٍ وعمروٍ ليس له رتبة معلومة، وهذه الآية قد علم أن السجود بعد الركوع، فكيف جاءت الواو بعكس ذلك؟»[٢].

القول الرابع: أن مريم أمرت بفعلين ومعلمين من معالم الصلاة، هما طول القيام والسجود أولًا ﴿يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى﴾، وخصّا بالذكر لشرفهما في أركان الصلاة؛ إذ العبد يقرب في وقت سجوده من الله تعالى ، وهذان يختصان بصلاتها منفردة، وإلا فمن يصلي وراء إمام فليس يقال له: أطل قيامك!.

ثم أمرت بعد بالصلاة في الجماعة، فقيل لها: ﴿وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾، وقصد هنا معلمًا من معالم الصلاة؛ لئلا يتكرر اللفظ، ولم يرد بالآية السجود الذي هو منتظم في ركعة واحدة، والله أعلم[٣].

ونقل ابن كثير رحمه الله قول الأوزاعي «أن مريم ركدت في محرابها راكعة ساجدة وقائمة حتى نزل الماء الأصفر على قدميها رضي الله عنها وأرضاها»[٤].

وللفائدة: نذكر مقارنة أجراها الإمام ابن القيم، توضح لنا نقطة مهمة تعتبر سببًا من أسباب تقديم الركوع على السجود؟ أو تقديم السجود على الركوع؟ وذلك في الآيتين التاليتين:

الأولى: قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧].

ففيها ترتيب من الخاص إلى العام بين أربعة أشياء: أخصّها الركوع ثم السجود أعم منه، ثم العبادة أعم من السجود، ثم فعل الخير العام، المتضمن لما سبقه.

الثانية: قوله تعالى: ﴿يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [آل عمران: ٤٣].

ففيها ترتيب من العام إلى الخاص،

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٤/ ٣٨٩.
(٢) التفسير البسيط، الواحدي ٥/ ٢٤٧.
(٣) المحرر الوجيز، ابن عطية ٢/ ٢١٩.
(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ١/ ٤٥٤.

فتقدّم السجود بسبب تقدّم القنوت الذي هو أعم منه، ولأن في السجود الدعاء القريب من القنوت ثم الركوع[1].

ثمرات الالتزام بالركوع

أولًا: ثمرات دنيوية على مستوى الفرد:

الغاية من خلق الإنسان بل الثقلين هي: توحيد الله عقيدة وعبادة.

قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

فعلى الإنسان المؤمن أن تكون عبادته وحياته ومماته كلها لله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، ﴿لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

فخضوع الفرد في هذه الحياة الدنيوية لا ينبغي أن يكون إلا للخالق عز وجل وحده لا شريك له، فإننا نستطيع استخلاص الثمرات التي يحصل عليها الفرد المسلم في الركوع لمولاه دون سواه، وأهمها:

١ . ثمرات إيمانية.

امتثال أمر الله بالركوع والخضوع تذللًا للمولى سبحانه وتعالى، وتعظيمًا له حسب التسبيح المأثور.

تحقيق معنى العبودية الخالصة لخالقه عزّ شأنه.

منح العزة الإيمانية التي تعطي المسلم الحياة الكريمة، بحيث لا يركع إلا لخالقه سبحانه.

(١) بدائع الفوائد، ابن القيم ص٨٠.

Made searchable using ScribeTools.com

استقلال شخصية العبد عن التبعية للآخرين ممن أشركوا وعبدوا غير الله تعالى.

حسن الركوع والخشوع من أسباب قبول الصلاة والتلذذ بالعبادة، وعن قتادة في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ﴾ [المرسلات: ٤٨] : عليكم بحسن الركوع، فإن الصلاة من الله بمكان. وقال قتادة عن ابن مسعود: «أنه رأى رجلًا يصلي ولا يركع، وآخر يجرّ إزاره، فضحك، قال: ما يضحكك؟ قال: أضحكني رجلان؛ أما أحدهما فلا يقبل الله صلاته، وأما الآخر فلا ينظر الله إليه»(١).

مغفرة الله لذنوب الراكعين الملتزمين بأوامره، وزيادة الإحسان إليهم.

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ٥٨].

وقوله: ﴿فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ [ص: ٢٤-٢٥].

محبة الله للمصلين الراكعين الساجدين، حيث أمر الله إبراهيم مرة بتطهير بيته الحرام بمكة المكرمة، فقال: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الحج: ٢٦].

وأمر إبراهيم مع ولده إسماعيل مرة ثانية، فقال: ﴿أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾، [البقرة: ١٢٥].

ثانيًا: ثمرات دنيوية على مستوى الجماعة:

كل الطاعات لله عز وجل لها فوائد وجني ثمارٍ يانعة على مستوى الفرد والجماعة، وقد ذكرنا سابقًا على مستوى الفرد، ونوجز هنا أهم الثمرات الدنيوية التي تستفيد منها الجماعة المسلمة، وهي:

١. الحث على صلة الفرد المسلم بإخوانه يوميًّا خمس مراتٍ، عن طريق أداء الصلاة مع الجماعة، قال تعالى: ﴿وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾، وقوله: ﴿وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾، وقوله: ﴿وَٱرْكَعِى مَعَ﴾، وقوله: ﴿وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾، وقوله: ﴿ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟﴾، وقوله: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ﴾، مما يجعل الجماعة في ترابط دائم وتعاضد مستمر في السراء والضراء.

٢. الحث على ارتياد المساجد التي بنيت لأداء الصلاة والذكر وقراءة القرآن؛ مما يؤدي إلى إعمارها بجماعة المسلمين، وإبقاء دور المسجد في العبادة والعلم وجميع ما يلزم لأحوال المسلمين، قال تعالى: ﴿وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾،

(١) جامع البيان، الطبري ٢٣/ ٦١٢.

وقوله: ﴿وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾، فإن (مع) تفيد وجوب أداء الصلاة بشهود الجماعة، وهذا يكون في المساجد[1].

٣. تزكية الجماعة الراكعة لله تعالى بأنهم من عمّار بيت الله الحرام في مكة؛ لذا أمر الله خليله إبراهيم وولده إسماعيل عليهما الصلاة والسلام بتطهير بيته المكرم لهم، فقال: ﴿أَن طَهِّرَا بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [البقرة: ١٢٥][2].

٤. الركوع خضوعًا لله تعالى بعد المعصية من أسباب قبول التوبة وتكفير الذنوب، وزيادة الإحسان للعبد من خالقه، قال تعالى: ﴿وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا وَقُولُواْ حِطَّةٞ نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطَٰيَٰكُمۡۚ وَسَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [البقرة: ٥٨][3].

٥. وجود الركوع في الصلاة من خصوصيات أمة محمدٍ عليه أفضل الصلاة والسلام، وقد ذكر هذا بعض المفسرين في تفسير آية: ﴿وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾، حيث قال: إنما خص الركوع بالذكر لأن بني إسرائيل لم يكن في صلاتهم ركوع![4].

ثالثًا: ثمرات أخروية على مستوى الفرد والجماعة:

يحرص كل مسلم في هذه الدنيا على القيام بطاعة الله سبحانه ، جاعلًا من دنياه مزرعة لآخرته؛ ليحصل على إرضاء مولاه، ويقطف ثمار ما زرعه في دنياه يوم القيامة والحساب، فيفوز برضى الله وجنته، وقد بين الله عز وجل في آيات الركوع بعض ما يكون للعبد من جزاء في الآخرة، نوجزها بما يلي:

١. بشارة الله سبحانه لمن اتصف بهذه الصفات التسع بأنهم من المؤمنين، وذكر من ضمنها صفة ﴿ٱلرَّٰكِعُونَ﴾، قال الله تعالى: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [البقرة: ٥٨].

٢. الوعد بالفلاح في الآخرة للمؤمنين الراكعين، الساجدين، العابدين الله، الفاعلين للخير، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧].

٣. للراكعين الساجدين سيما وعلامة

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ١/ ٣٤٨.
(٢) جامع البيان، الطبري ٧/ ٦٤٤.
(٣) المصدر السابق.
(٤) المحرر الوجيز، ابن عطية ١/ ١٩٩.

Made searchable using ScribeTools.com

تميّزهم بها من غيرهم في أرض المحشر من أثر السجود، وقد وصف الله تعالى محمدًا صلى الله عليه وسلم والذين معه بذلك، فقال سبحانه: ﴿تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾[الفتح: ٢٩].

٤. تقريب الله تعالى للعبد المؤمن المستغفر من ذنبه، الراكع لربه والمنيب إليه، ومنحه الدرجات العالية في الجنة على توبته، قال الله تعالى بعد قبول توبة نبيه داوود عليه الصلاة والسلام: ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ [ص: ٢٥][1].

٥. الوعد بالمغفرة والأجر العظيم في الآخرة لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، ومن سار على نهجهم، قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾ [الفتح: ٢٩].

٦. كشف كذب المجرمين الذين لم يركعوا لله في الدنيا أمام الخلائق في أرض المحشر يوم القيامة، وأن لهم العذاب الشديد في الآخرة، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ﴾، ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المرسلات: ٤٨-٤٩].

موضوعات ذات صلة:

التسبيح، الذكر، السجود، الصلاة

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٤/ ٣٩.